

عنوان المقال: الخطاب الديني ودوره في تعزيز ثقافة العيش المشترك –
المجتمع الجزائري أنموذجا-

**Title: Religious Discourse and Its Role in Promoting a
Culture of Coexistence (The Algerian Society as a Model)**

الاسم الكامل للباحث الأول* حميدة فاطيمة

مؤسسة الانتماء: جامعة ابن خلدون (تيارت)

الإيميل fatima.hamida@univ-tiaret.dz

تاريخ الارسال:	تاريخ القبول:	تاريخ النشر:	المؤلف المرسل:
----------------------	---------------------	--------------------	----------------------

الملخص:

يعد الخطاب الديني في المجتمع الجزائري من العناصر الفعالة والجوهرية التي تساهم في بلورة الوعي الثقافي والاجتماعي وحتى السياسي للفرد الجزائري، وتتزايد الحاجة إلى مثل هذا الخطاب بزيادة شدة الصراعات الإيديولوجية والثقافية والقيمية، وهنا تبرز فاعلية هذا الخطاب المبني على قيم الدين الإسلامي كالتسامح واحترام الحرية والكرامة الإنسانية في نشر ثقافة العيش المشترك، وبالتالي يساهم في إخماد لهيب النزعات الجهوية ويساعد على بناء نسق اجتماعي جزائري أصيل يقوم على التنوع والتعدد والتناغم والانسجام في الآن ذاته .

الكلمات المفتاحية: الخطاب الديني. العيش المشترك. المجتمع الجزائري. النزعات الجهوية. التسامح.

* المؤلف المرسل: حميدة فاطيمة

Abstract :

Religious discourse in Algerian society is one of the essential and effective elements that contribute to shaping the cultural, social, and even political awareness of Algerian individuals. The need for such discourse increases with the intensification of ideological, cultural, and value conflicts. This highlights the effectiveness of this discourse, which is based on Islamic values such as tolerance, respect for freedom, and human dignity, in spreading a culture of coexistence. Consequently, it plays a role in extinguishing the flames of regional strife and helps build a genuine Algerian social fabric that is rooted in diversity, plurality, harmony, and cohesion simultaneously.

Keywords: Religious discourse, coexistence, Algerian society, regional strife, tolerance .

1. مقدمة:

يعد الخطاب الديني أحد المقومات الجوهرية لكل دولة، ونجد بأن مثل هذا الخطاب قد صاحب البشرية منذ الأمد البعيد، حتى الحضارات القديمة عرفت شكلا من أشكال الخطاب الديني والمتمثل في الخطاب اللاهوتي، لذلك يمكن القول بأن بنية هذا الخطاب ليست على نمط واحد، وإنما هي متغيرة لتتناسب مع الدين الرسمي لدولة ما أو حضارة ما كما أنها يجب أن تنسجم مع خصوصية النسق الاجتماعي، لذلك لا يمكن الحديث عن خطاب ديني واحد وإنما لكل دولة خطابها.

ولما كانت الدولة الجزائرية تدين بالدين الإسلامي كدين رسمي، فإن الخطاب الديني الذي يجد صدى واسعا في المجتمع الجزائري هو الخطاب الإسلامي المؤسس على النصوص المقدسة المستوحاة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فالجزائر وعلى الرغم مما مرت به من ويلات الاستعمار

والصراعات السياسية والاجتماعية الثقافية إلا أنها بقيت متمسكة بهويتها العربية الإسلامية الأصيلة.

لذلك فإن الخطاب الديني في الجزائر لا يمثل فقط وسيلة من أجل الحفاظ على الهوية والدفاع عن القومية، بل هو يشكل أحد المقومات الرئيسية للمجتمع الجزائري، ولا يمكن أن نتصور قيام مجتمع متناسق ومنسجم في غيابه وذلك لما له من دور في تحقيق التوافق بين مختلف الأنماط الثقافية وتكريس فكرة العيش معا رغم الاختلاف.

لهذا فإن العلاقة بين الخطاب الديني الإسلامي من جهة وثقافة العيش المشترك من جهة أخرى هي علاقة جد عميقة ومتشابكة، لأنه ما من سبيل لتقريب الثقافات المتعددة الأساسية والفرعية إلا عبر الخطاب الديني، لأن هذا الأخير يساعد على بلورة الوعي ونضجه لدى الفرد الجزائري من أجل تجنب كل أشكال الصراع والصدام الأيديولوجي والحضاري والاجتماعي وحتى السياسي.

إن المتتبع لتطور مسار الفكر والسياسة في الجزائر عبر مراحل تاريخية مختلفة يعرف أن الخطاب الديني الجزائري سواء كان رسميا أو غير رسمي له دور فعال في تحقيق الانسجام الاجتماعي، لذلك فإن الهدف الجوهرى الذي أرمي له من خلال هذه الورقة البحثية هو التأكيد على أهمية هذا الخطاب لذلك طرحت الإشكالية التالية: إلى أي مدى ساهم الخطاب الديني في الجزائر في تكريس ثقافة العيش المشترك؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية هذه الإشكالية حاولت بناء خطة مكونة من مقدمة ثم ضببطت بعد ذلك المفاهيم الجوهرية التي تبنى عليها مفاصل المقال ولاحقا حاولت أن أبرز دور الخطاب الديني في تعزيز ثقافة العيش المشترك مركزة

على المجتمع الجزائري باعتباره أنموذجا، ثم تطرقت إلى التحديات التي تواجه هذا النوع من الخطاب في مجتمعنا، وأنهيت عملي هذا بخاتمة.

2. ضبط مفهومي

تعد مسألة تحديد المفاهيم قضية جوهرية بالنسبة إلى كل باحث، خاصة في ميدان الدراسات الفلسفية والاجتماعية لأن الطبيعة المفهومية للكلمات في هذين الحقلين تتميز بالمرونة، لذلك فهي لا تكتسب معناها الصحيح إلا ضمن سياق الحديث.

2. 1. الخطاب

- مفهوم الخطاب في اللغة

كلمة الخطاب مشتقة من الفعل الثلاثي "خطب" لقد ورد في لسان العرب لابن منظور "الخطابُ والمخاطبةُ: مراجعة الكلام، وقد خطبته بالكلام، مخاطبةً وخطاباً، وهما يتخاطبان... إن الخطبة مصدر الخطيب لا يجوز إلا على وجه واحد، وهو أن الخطبة اسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب، والخطبة مثل الرسالة التي لها أول وآخر" (منظور، 2016، الصفحات 1221-1222)، ما يمكن فهمه من خلال ما قدمه ابن منظور هو أن الخطاب يشير إلى فعل الكلام، والخطبة تعني الكلام الموزون الموجه لجمهور معين من الناس، وقد وردت بنفس المعنى لدى محمد حافظ دياب فالخطاب "أحد مصدري الفعل خطب يُخاطب خطاباً ومخاطبة، وهو يدل على توجيه الكلام لمن يفهم" (دياب، صفحة 09)، فالخطاب إجمالاً في معناه اللغوي هو توجيه الكلام لشخص أو مجموعة معينة من الناس يحمل رسالة ما ويهدف إلى تحقيق التواصل أو التأثير على المتلقي باستخدام أساليب وتقنيات بلاغية محددة.

أما في اللغة الفرنسية فإن الخطاب Discours قد ورد تعريفه في قاموس Le Petit Larousse illustré 2013 بأنه " 1. Développement oratoire sur un sujet déterminé, prononcé en public allocution. 2. LING. Réalisation concrète, écrite ou orale, de la langue considérée comme un système abstrait. 3- Ensemble de manifestations verbales, orales ou écrites, représentatives d'une idéologie ou d'un état des mentalités à une époque." (HOUSSEMAINE, 2013, p. 350)، يتضح من هذا التعريف أن كلمة خطاب في اللسان الفرنسي يصعب تحديدها بدقة لأنها تحيل على معاني كثيرة ومختلفة ترتبط بشبكة معرفية تضم البلاغة واللسانيات والعلوم الاجتماعية.

من ناحية أخرى نجد أن كلمة الخطاب تتردد بكثرة في القرآن الكريم (وَشَدَدْنَا مُلْكُهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابَ) (سورة ص الآية 20) والخطاب في هاته الآية الكريمة يشير إلى القضاء أو الفهم حسب رأي علماء الفقه الإسلامي وقوله تعالى: (رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا) (سورة النبأ الآية 37) أما هنا فيدل الخطاب على الكلام.

إن كلمة خطاب من الزاوية اللغوية قد ترد بمعاني كثيرة، لذلك فإن فهمها على الوجه الصحيح لا يكون إلا من خلال السياق الذي وردت فيه، وبهذا يكون الخطاب مصطلح متعدد الدلالة التي لا يمكن فهمها إلا بمحاثة الحقل المعرفي للمخاطب، لكنها غالبا تدل على الكلام، أو الفهم الذي يتحدد وفق خلفيات إيديولوجية واجتماعية وقيمة مختلفة.

- المفهوم الاصطلاحي للخطاب

إن التنقيب عن المعنى الاصطلاحي للخطاب يكشف لنا عن جذوره الفلسفية المحضة، حيث عرفه لالاند في موسوعته الفلسفية بأنه "عملية تجري من خلال سلسلة عمليات أولية جزئية ومتتابة. ونحنو خاص، تعبير عن الفكر وتطوير له بسلسلة كلمات أو عبارات متسلسلة" (لالاند، 2001، صفحة 287)، معنى ذلك أن الخطاب من المنظور الفلسفي يتخذ من الكلام بمثابة آلية لتبليغ فكرة ما. وهذا المعنى بالتحديد برز في عهد الحضارة الإغريقية القديمة إذ لعب الخطاب دورا جوهريا في بلورة الوعي السياسي وتشكيل الواقع الاجتماعي وهذا ما يبرز بوضوح مع المدرسة السفسطائية التي برع زعمائها في فن الخطاب، وعملوا على تجاوز التعريف الكلاسيكي الذي يحصره في كونه أداة للتواصل، بل هو مهارة يجب إتقانها ببراعة من أجل إقناع المتلقي والتأثير فيه، لذلك يُلقب أغلب السفسطائيون بالخطباء.

لكن ثار الفلاسفة بعد ذلك على الوجه الذي استغل به السفسطائيون الخطاب باعتباره أداة للمغالطة والتلاعب الفكري لذلك تطور مفهومه في مراحل زمنية لاحقة حيث نجد أفلاطون قد "ربطه بالعقل Logos وفي عصر النهضة بديكارت في كتابه خطاب في المنهج، حيث تم إبراز الدور الفعال الذي يؤديه الخطاب في مختلف المجالات ويعتبر كتاب ديكارت تأسيسا للخطاب وليس فقط تحديدا وتفسيرا للمصطلح أو المفهوم" (بن حليمة، 2014، صفحة 257)، ثم بعد ذلك خرج الخطاب عن طابعه الفلسفي ليرتبط بمجالات أخرى عدة على غرار اللسانيات وعلم الاجتماع والسياسة وحتى بميدان الدين حيث أضحى مفهوم الخطاب الديني أحد العناصر الجوهرية المكونة للفكر الإنساني المعاصر.

2.2. الخطاب الديني

يعتبر مفهوم الخطاب الديني أحد المقومات الأساسية للفكر الإنساني في الميدان العقائدي ويندرج ضمن هذا النوع من الخطاب كل حديث ذو طابع ديني سواء كان إسلامي أو مسيحي أو نصراني، مع أننا هنا نركز على الجانب المتعلق بالدين الإسلامي ويمكن تعريف الخطاب بحسب التهانوي بأنه "توجيه الكلام المتعلق بالدين، والدائر حول موضوعه، نحو الغير لإفهامهم، وللتأثير في نفوسهم، ولتغيير مفهوماتهم وتصوراتهم، وهذا التعلق بالدين يتسع ليشمل كل شيء يتصل به" (خضر، 2024، صفحة 1062) يمكن أن نعتبر الخطاب الديني انطلاقاً من تصور التهانوي بأنه أحد أشكال الرسائل الموجهة لأفراد المجتمع المهدف منها تعليم القيم الدينية المختلفة المتعلقة بالعبادة أو الأخلاق أو المعاملات وشرحها انطلاقاً من النص المقدس سواء كان القرآن الكريم أو السنة النبوية الشريفة.

يعتبر الخطاب الديني بالنسبة للإنسان المسلم مرجعية هامة لفهم الدين، ويتنوع هذا الخطاب ليشمل "كل خطاب مقروء أو مسموع أو مرئي، فهو يشكل لونا من ألوان الخطاب للآخر، فالخطاب الديني - ونقصد به الخطاب الإسلامي - لا يتوقف على كتابة أو كلام فحسب إنما يتعداه ليشمل كل أنواع الخطاب الذي يمارسه المسلمون بعلمائهم ومؤسساتهم ومؤلفيهم" (عبد الفتاح مصطفى، 2017، صفحة 17)، من هنا يمكن أن نستخلص وجود أنواع من الخطاب الديني، وهذا التنوع ناتج عن اختلاف فئات المجتمع من ناحية السن ودرجة الوعي الفردي لدى الناس، يتولى مسؤولية الخطاب الديني إما مؤسسات ذات طابع ديني على غرار المساجد والجمعيات الدينية أو الدعاة والأئمة.

وعلى اعتبار أن الدين الإسلامي يعتبر الدين الرسمي للدولة الجزائرية، كما أن السواد الأعظم من أفراد المجتمع الجزائري يدينون بالدين الإسلامي، فإن الخطاب الديني فيه يجد صدًى واسعا وإقبالا كبيرا، ويلعب دورا محوريا في تعزيز ثقافة التسامح والعيش المشترك بين مختلف شرائح الشعب الجزائري.

فمن المعروف أن الجزائر عرفت على فترات زمنية مختلفة الكثير من الاضطرابات الاجتماعية سواء المتعلقة بالنعرات الجهوية أو بتفشي سياسة الخطاب الديني المتطرف الداعي للعنف والإرهاب، مما أثر بشكل سلبي على حياة الإنسان الجزائري وأدى إلى انتشار القلق بين الناس وأحدث اختلالا في البنية العامة للمجتمع، من هنا جاءت الحاجة للخطاب الديني لإعادة التوازن والانسجام للنسيج المجتمعي الجزائري، لذلك لا يمكن تصور الفصل بين مثل هذا الخطاب وبين دوره في تفعيل ثقافة العيش المشترك

2.3. العيش المشترك

إن العيش المشترك كمصطلح لم يكن متداولاً بكثرة إلا في الفكر الفلسفي المعاصر، لذلك فمن الصعب أن نعثر له على مفهوم دقيق لكن يمكن تعريفه بحسب عبد العزيز التويجري بأنه: "اتفاق طرفين أو عدة أطراف على تنظيم وسائل العيش - أي الحياة - فيما بينهم وفق قاعدة يتم تحديدها وتمهيد السبل المؤدية إليها" (التويجري، 1998، صفحة 04)، إن مفهوم العيش المشترك يشبه العقد لأنه يشمل على اتفاق ضمني بين مجموع من الناس، وهذا الاتفاق يكون وفق قواعد محددة، وكأن العيش المشترك يقترب من نظرية العقد الاجتماعي على نحو ما.

كما يحيل كذلك مفهوم العيش المشترك إلى تفعيل قيم الإنسانية المشتركة التي وجب أن تحكم كل جماعات مختلفة دينيا وعرقيا وإيديولوجيا، لكنها تعيش في حيز

المجتمع الواحد أو الدولة والواحدة، ولعل أهم تلك القيم التعاون والمحبة والتسامح والاحترام المتبادل، شهد مفهوم العيش المشترك نوع من التوسعة فلم يعد يشمل فقط أبناء المجتمع الواحد، بل ظهر فكر فلسفي جديد يدعو إلى التعايش الكوني أي وجب علينا كأفراد ضمن هذا النظام الشامل احترام الأنماط الثقافية والمعتقدات الدينية مما يضمن تحقيق العدالة والسلام والدائم، ولعل هذا هو جوهر المشروعين الكانطيين والهابرماسي.

3. تاريخية الخطاب الديني في الجزائر ودوره في الحفاظ على وحدة الشعب

لقد مرّ الخطاب الديني في الجزائر منذ الحقبة الاستعمارية وإلى اليوم بمراحل كثيرة ومختلفة، و ساهم عبر كل هذه الفترات على الحفاظ على البنية الهوياتية للشعب الجزائري، كما ساعد على الحفاظ على تماسك ووحدة أبناء الجزائر رغم كل المخططات التي كانت تهدف إلى تمزيق الوحدة الوطنية وتشويه هوية شعب كانت ولا زالت تتميز بالأصالة والعراقة على الرغم من التعددية الثقافية التي يتميز بها أفراد هذا المجتمع.

3.1. الخطاب الديني أثناء الفترة الاستعمارية

عمل المستعمر الفرنسي منذ أن وطأت أقدامه أرض الجزائر سنة 1830 على تفكيك مقومات الهوية الجزائرية، وفصل الشخص الجزائري عن أصوله، حيث ادعى بأن هذا شعب بلا حضارة وبلا تاريخ وهو مجرد تجمع لفئات من البرابرة، لذلك ادعت فرنسا من خلال احتلالها للجزائر بأنها حملت رسالة الرجل الأبيض أي أنها حملت لواء الثقافة والتنوير والحضارة. لكن الواقع الاستعماري آنذاك كان يفرض حقيقة مغايرة تماما إذ أن السياسة الاستعمارية في جوهرها كانت سياسية تجهيل لا تنوير.

إن القوة المادية التي امتلكتها فرنسا في تلك الحقبة مكنتها من التفوق العسكري على الشعب الجزائري، ونجح المستعمر في تحطيم البنى التحتية للجزائر وأضحى كل شيء عبارة عن رماد، هذه الحملة الشرسة كانت مكثفة على مراكز التعليم حيث قاموا بحرق الكتاتيب وهدم المساجد وتحويلها إلى كنائس، وأبشع من ذلك قام الجيش الفرنسي بقتل وسجن وتعذيب رجال الدين والمعلمين من أمثال زروقي الشيخ والعربي التبسي وغيرهما وذلك من أجل طمس معالم اللغة العربية والقضاء على الدين الإسلامي، ولتمزيق شمل الجزائريين انتهجت أساليباً أكثر خبثاً ودهاءً على غرار سياسية الفرنسة والتجنيس والتنصير.

لكن كل السياسات الفرنسية سواء القائمة على التهيب أو الترغيب فشلت في محو الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري حيث عمل أبناء الجزائر على التصدي للمخططات الاستعمارية وذلك من خلال تكون الجمعيات والنوادي الثقافية التي سعت بالاستناد على الخطاب الديني للحفاظ الأصالة الجزائرية وساهمت في نشر الوعي، فعندما " ظهرت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قاومت التنصير وهاجمته بقوة، وسخرت صحفها ودروس المساجد إلى كشف مخططاته " (سعد الله، 1998، صفحة 140)، إن الجهد العظيم الذي بذله عبد الحميد بن باديس الذي يمثل أحد المرجعيات الكبرى للخطاب الديني الإسلامي في الجزائر ورفقائه من أمثال البشير الإبراهيمي أدى إلى إجهاد كل المحاولات الفرنسية الرامية إلى زرع بذور التفكيك الطائفي والتشتت الديني، وبقي الشعب الجزائري بمختلف طبقاته متمسكا بوحدته الوطنية وانتمائه القومي العربي الأصيل.

3. 2. الخطاب الديني في الجزائر غداة الاستقلال

بالرغم من أن فرنسا فشلت في محو الهوية العربية الجزائرية إلا أنها نجحت في تكوين نخبة هجينة جزائرية الأصل فرنسية الثقافة دعت أثناء التواجد الاستعماري إلى إلحاق الجزائر بفرنسا، وبعد الاستقلال عملت على تغذية النعرات الجهوية (بين الأمازيغي والعربي والشاوي...) وإشعال فتيل الصراعات السياسية، هنا يبرز دور الخطاب الديني في التذكير بوحدة الشعب الجزائري ومقاومة التيارات التغريبية المختلفة سواء التي كانت تدّين بالولاء لفرنسا حتى بعد رحيلها أو تلك التي كانت متصارعة من أجل الوصول إلى السلطة.

واصل عبد الحميد ابن باديس كفاحه الفكري في هذه الحقبة لكن بعد وفاته حمل الشيخ البشير الإبراهيمي على عاتقه مسؤولية مواصلة الكفاح الثقافي لجمعية العلماء المسلمين إذ نوه بخطورة الوضع الاجتماعي والسياسي آنذاك حيث صرح قائلاً: "إن وطننا يتدحرج نحو حرب أهلية طاحنة، ويتخبط في أزمة روحية لا نظير لها، ويواجه مشاكل اقتصادية عسيرة الحل، ولكن المسؤولين لا يدركون أن شعبنا يطمح قبل كل شيء إلى الوحدة والسلام والرفاهية، وأن الأسس النظرية التي يقيمون عليها أعمالهم يجب أن تنبعث من صميم جذورنا العربية الإسلامية لا من مذاهب أجنبية" (عياشي، 1992، صفحة 142)، إن ثورة نوفمبر المباركة بما حملته من قيم دينية وقومية جمعت شمل الجزائريين، لكن التوجهات السياسية غداة الاستقلال حطمت كل شيء بحملها شعار المصلحة الشخصية فوق كل اعتبار، لذلك دعت الضرورة إلى إعادة إحياء الخطاب الديني الذي أماتته السياسة لأنه الكفيل بإعادة بعث الوعي الثقافي الجزائري الإسلامي وحث الجزائريين على التعايش والتكاتف فما أفسدته السياسية يصلحه الخطاب الديني.

لعل من أبرز رواد الخطاب الديني في هذه المرحلة الشيخ العرابوب الذي عمل كخطيب مسجد بيلكور "حيث كان يعارض إقامة بعض الأنشطة الثقافية على غرار "محمد خذ حقيبتك" التي قال أنها تشتم الإسلام والمسلمين، وكان يراد عرضها بالمسرح الوطني سنة 1977 و 1980" (موسوي، 2016، صفحة 70)، ولقد سار على دربه كثر من أمثال مالك بن نبي وأحمد سحنون وعبد اللطيف سلطاني وغيرهم.

3.3. الخطاب الديني في فترة العشرية السوداء

تعتبر فترة العشرية السوداء مرحلة جد عصيبة في تاريخ الجزائر تمتد من سنة 1991 إلى الألفية الجديدة أي حوالي عشر سنوات، عرفت الجزائر في هذه الفترة اضطرابات سياسية جد عنيفة، وموجة من التعصب الديني ماتولد عنه صراعات دموية بين الحكومة الرسمية من جهة والجماعات الإرهابية المسلحة من جهة أخرى، سبب هذا الصراع في إزهاق آلاف من الأرواح البريئة منهم أطفالا ونساء، مما أدى إلى انتشار الذعر والقلق واحتلال توازن المجتمع الجزائري وتدهور الوضع الأمني بشدة، وتوسعت عمليات القتل والاختطاف لتشمل المناطق الريفية، كما كثر استخدام القنابل والمتفجرات ضد أفراد الجيش ورجال الأمن.

وكنتيجة لذلك انعدمت الثقة بين الحكومة والشعب وحتى بين أفراد الشعب بعضهم مع بعض ودخلت الجزائر في سنوات مظلمة مما أثر سلبا على جميع الجوانب الحياتية سواء الثقافية أو الاقتصادية أو الاجتماعية، وتراجعت الوحدة الوطنية وبرزت وبشدة الطوائف السياسية، وازدادت حدة التفرقة المناطقية بين أبناء الشعب الواحد.

بعد أن بلغ التوتر هذا ذروته، عرفت الأوضاع في الجزائر سنة 2002 منعرجا حاسما غير مسار الأحداث مع مشروع السلم والمصالحة الوطنية الذي دعا له الرئيس

الراحل عبد العزيز بوتفليقة، ولعل السر في النجاح الباهر الذي حققه هذا المشروع يكمن في أنه يستمد أسسه وقواعده من الخطاب الديني الإسلامي المتشبع بالقيم الإنسانية والروحية المختلفة، لذلك نجح هذا المشروع في تفعيل مبدأ الوحدة الوطنية وتعميق الانتماء الهوياتي للثقافة الإسلامية، وبالتالي إحلال الصلح محل الصراع مصداقاً لقوله تعالى: (فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ) (سورة الحجرات، 10) وقوله سبحانه وتعالى (وَالصُّلْحُ خَيْرٌ) (سورة النساء، 128) وبذلك تراجعت حدة الصراعات وعاد الاستقرار تدريجياً إلى أرض الشهداء.

حقق مشروع المصالحة الوطنية عبر بوابة الخطاب الديني المرن الداعي إلى الوحدة والتعايش السلمي بين جميع الفئات والأجناس ما عجزت الحومة الجزائرية عن تحقيقه بالقوة العسكرية في سنوات سابقة، وأعاد تأسيس مجتمع جزائري جديد قائم احترام الخصوصية الثقافية لكل منطقة، مع تكريس منطق العيش المشترك.

4. الخطاب الديني في الجزائر المعاصرة نحو تعزيز ثقافة العيش المشترك

يتميز المجتمع الجزائري بالتنوع فكري وثقافي شاسع، فهو ينطوي على هويات عرقية مختلفة كالعرب والأمازيغ زيادة على وجود بعض الطوائف الدينية. وهذه الميزة بقدر مالها من انعكاسات إيجابية حيث أدت إلى الثراء الثقافي والفكري والتنوع الحضاري إلا أنه يوجد هنالك من استغل تلك الثقافات الفرعية من أجل زعزعة استقرار أمن الجزائر وتشيت أبنائها من جديد، ولجأه ذلك وجب استغلال الخطاب الديني من أجل تحقيق التعايش بين مختلف الطبوع الثقافية داخل المجتمع الجزائري وذلك من خلال:

4.1. تفعيل القيم الأخلاقية الإنسانية

إن الخطاب الديني في الجزائر سواء من خلال المؤسسات الدينية كالمساجد أو عبر وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي، يدعم القيم الأخلاقية التي تساهم في الحفاظ على الوحدة الوطنية، وتعزز من قابلية الفرد الجزائري للتعايش مع غيره حتى وإن كان مختلف عنه، ومن أسمى هذه القيم محاولة نشر فكرة التسامح، وهذا ما دعت إليه العقيدة الإسلامية حيث تضمن القرآن الكريم الكثير من النصوص التي حملت دعوة صريحة لتفعيل قيمة التسامح كقوله سبحانه وتعالى (وَإِنْ تَغْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (سورة التغابن، الآية 14)، إن الله سبحانه وتعالى يحثنا على الصفح والمغفرة وهذا أمر ضروري لتحقيق فكرة التعايش.

إضافة إلى ذلك فإن الخطاب الديني يدعو إلى التعاون والتآزر بين كل أفراد المجتمع وهذا ما من شأنه أن يعزز الروابط الاجتماعية بين الناس ويقوي لحمية التعايش، قال الله سبحانه وتعالى (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (سورة المائدة، الآية 02)، لهذا فإن البناء السليم للمجتمع يفرض علينا التخلي عن النزعة الأنانية وتحقيق الاندماج والتعاون مع الغير.

4.2. نبذ كل أشكال العنف والتعصب

يكرس الخطاب الديني في الجزائر لمنطق الحوار وتقبل رأي الآخر، ورفض كل أشكال العنف والتطرف، لأن العنف لا يولد إلا العنف، ولقد حثنا الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله على المناقشة العقلانية مصداقا لقوله تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (سورة النحل، 125)، إن الله أمر الرسول بأن يتحلى بالحكمة،

لذلك وجب علنا نحن أن نستغل المواعظ الواردة في القرآن الكريم في تعاملاتنا مع غيرنا، وأن نحل مشاكلنا عن طريق الحوار وتبادل الآراء لا عن طريق العنف والدخول في صراع من شأنه أن يزيد من تأزم الأوضاع.

5. التحديات التي تواجه الخطاب الديني في الجزائر

يواجه الخطاب الديني في المجتمع الجزائري المعاصر العديد من التحديات والعوائق التي من شأنها أن تحد من دوره وتؤثر على فاعليته ولعل أهم هذه التحديات نجد:

5.1. التحديات الاجتماعية والثقافية

إن التركيبة الثقافية للمجتمع تتميز بالتعددية مما خلق نوع من الصراع والنزعات بين مختلف الطبوع الثقافية خاصة العربية منها والأمازيغية، إذ تتميز العلاقة بين هذين الفرعين بالتوتر الدائم عبر مراحل زمنية مختلفة، وهذا بدوره انعكس بشكل سلبي على وحدة وتماسك المجتمع، ووسع الهوة الثقافية بين المناطق الجزائرية.

5.2. التكنولوجيا الرقمية وخطر القيم الغربية

أضحى الخطاب الديني في الجزائر يواجه الكثير من العوائق والتحديات، وهذا ما أثر بشكل كبير على فاعليته وحدّ من دوره في التكريس لقيم العيش المشترك، من أهم هذه العوائق طوفان التكنولوجيا الرقمية المعاصرة وما حمله من قيم غريبة عن المجتمع الجزائري، أصبحت تهدد الهوية الجزائرية العربية من جهة، وفي الآن ذاته تعصف باستقرار ووحدة أبناء الجزائر.

لا يخفى علينا اليوم أن الشباب الجزائري أصبح مدمنا على التكنولوجيا وبالتحديد على وسائل التواصل الاجتماعي (فيس بوك، أنستغرام، تيك توك...)، أحدثت هذه الوسائط زعزعة في القيم الأخلاقية والثقافية للفرد الجزائري، وجعلته يعيش حالة من الاغتراب الديني والثقافي وحتى الاجتماعي، وبالتالي أدت إلى تكوين فرد مشوه الهوية هذا الأمر عبر عنه جلال أحمد أمين الذي يرى بأن "الهوية معناها في الأساس التفرد والهوية الثقافية هي التفرد الثقافي، والحال أن التقدم التكنولوجي يؤثر بطبيعته على الهوية الثقافية ذلك أن التكنولوجيا الحديثة على وجه الخصوص تكتسي القدرة الكامنة في أن تصبح أداة قهر من خلال ما تفرضه من زيادة في حجم النمطية" (طايبي، 2007، الصفحات 161-162) لقد تمكنت هذه التكنولوجيا من خلق جيل فارغ ثقافيا وتائه فلا هو بالعربي ولا هو بالغربي.

إضافة إلى ذلك فإن التكنولوجيا الرقمية ساهمت في إضعاف الروابط الاجتماعية إذ أضحي الفرد يعيش منعزلا عن مجتمعه، وأساء من ذلك أصبح يعيش منعزلا حتى عن أسرته، إن الاستقطاب الذي تكرسه الوسائط التكنولوجية يتحول بمرور الوقت إلى إدمان، ويصبح العالم الافتراضي بالنسبة للشباب أفضل من العالم الواقعي.

من جهة أخرى يمكن أن تستغل هذه الوسائط التكنولوجية كذلك لنشر الخطاب الديني المتطرف الذي يدعوا إلى التشدد والتعصب، ويرفض أي شكل من أشكال التعايش بين الأديان، وبهذا يساهم في تغذية الصراعات بين الفصائل الدينية المختلفة لأن الجزائر حتى وإن كانت تعرف انتشارا واسعا للدين الإسلامي إلا أن هذا لا ينفي وجود أقليات من أتباع الديانات الأخرى، والترويج لمثل هذا الخطاب من شأنه أن يقضي على فكرة التسامح الديني.

6. خاتمة

بناءً على ماسبق وجب التأكيد أن الخطاب الديني يبقى أحد العناصر الجوهرية التي ساعدت على صمود الجزائر دولة وشعباً أمام التحديات الداخلية والخارجية، ولقد ساهم هذا الشكل من الخطاب بشكل جوهري في:

- الحفاظ على الهوية الجزائرية العربية الإسلامية: بحيث كان للمساجد ورجال الدين وعبر الخطاب الديني دور كبير في صون أصالة هذا المجتمع والتذكير في كل مرحلة زمنية بالجدور الإسلامية للمجتمع الجزائري، وهذا ما أدى إلى صمود أبناء هذا الشعب أمام أشكال المسخ والتشويه الذي قام به المستعمر الفرنسي، ولأزال مثل هذا الخطاب حتى يومنا يقاوم القيم الغربية التي تهدد الثقافات المحلية والتي وردت إلينا عبر التكنولوجيا الرقمية.

- تعزيز ثقافة العيش المشترك: يعمل الخطاب الديني على تفعيل القيم الإنسانية التي وردت في الرسالة المحمدية على غرار التعاون والتسامح والاحترام وتقبل الآخر، هذا الأمر ساهم في إخماد نار الصراعات الداخلية بين مختلف الفئات الاجتماعية كما قضى على سياسية التفرقة الجهوية، لأن القيم التي حملها الدين الإسلامي هي قيم كونية تحت الناس على العيش مع الآخر حتى وإن كان مختلف وفق ضوابط أخلاقية محددة.

كما يجب التأكيد في الأخير على ضرورة تحديد الخطاب الديني ليوأكب التحديات المعاصرة ويساير تغيرات الحياة الاجتماعية المستمرة، والمقصود بالتجديد هنا هو إعطاء فهم جديد لبعض النصوص المقدسة وفق الضوابط العقائدية لضمان الاستجابة للمتطلبات الثقافية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية المستجدة، وذلك

حتى يرتقي وعي الفرد الجزائري بالقضايا المحلية والعالمية وتزداد رغبته للإقبال على الخطاب الديني.

7. قائمة المراجع

HOUSSEMAINE, H. (2013). LAROUSSE. paris: Édition Larousse.

ابن منظور. (2016). لسان العرب. القاهرة: دار المعارف.

أبو القاسم سعد الله. (1998). تاريخ الجزائر الثقافي. بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.

أحميدة عياشي. (1992). الإسلاميون الجزائريون بين السلطة والرصاص (الإصدار 01). الجزائر: دار الحكمة الجزائرية.

أندريه لالاند. (2001). موسوعة لالاند الفلسفية (الإصدار 02). خليل أحمد خليل، المترجمون) بيروت، لبنان: منشورات عويدات.

رتيبة طايبي. (15 12، 2007). الصراع الثقافي وتأثيره على هوية الشباب الجامعي في المجتمع الجزائري. حوليات جامعة الجزائر، 07 (01).

عبد العزيز بن عثمان التويجري. (1998). الإسلام والتعايش بين الأديان في أفق القرن الحادي والعشرين. الرباط: منشورات المنظمة العربية الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.

محمد بن حليمة. (30 04، 2014). ماهية الخطاب الديني في المجتمع الإسلامي. فصل الخطاب ، الصفحات 253-278.

محمد حافظ دياب. سيد قطب، الخطاب الأيديولوجيا. القاهرة، مصر: دار العالم الثالث للطباعة والنشر والتوزيع.

محمد عبد الفتاح مصطفى. (2017). الخطاب الديني، تجديد لا تبديد... وتطوير لا تحريف (الإصدار 01). القاهرة: كنوز.

محمد مشرف يوسف خضر. (2024). مفهوم الخطاب الديني وتحولاته بين سلطة القول
وقوة الفعل. المجلة العلمية بكلية الآداب (54)، الصفحات 1053-1072.

محمد موسوني. (15 12، 2016). مدخل إلى التطور التاريخي للخطاب الديني في الجزائر.
أنثروبولوجية الأديان ، 03 (01)، الصفحات 66-74.